مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٠/٢٠٠٩ هـ.ق، العدد ١٦ (٤) ١٥-٢٨

خطبة اللمّة – سندها و مكانتها عند الشيعة

محسن الويري[١]

تاريخ الوصول: ١٤٢٩/٩/١٣ تاريخ القبول: ١٤٣٠/١/٦

جاءت الخطبة الفدكية أو خطبة اللمّة، كردّ فعلٍ من السيدة الزهراء سلام الله عليها لما فعله الخليفة الأول بشأن فدك، و لكنها كانت تشير دوماً إلى مفهوم أكبر و نطاقٍ أوسع من صرف المطالبة بأرض فدك. كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قد ملكها عن طريق الفتح بسبب شروطه الخاصة التي كانت حاكمة عليه، من ثمّ نحلها للزهراء سلام الله عليها فصارت بحوزتها، و كانت هذه الأرض قبل و بعد الفتح الإسلامي منطقةً مزدهرةً و معروفة.

الأدلة التالية تؤكّد صحة سند الخطبة و تبعد عنه كل شكّ أو ترديد: نقل نصّ الخطبة بشكل تام في المرحلة الأولى لبدء تدوين الحديث، كثرة تناقله في مصادر أهل السنة قديماً و حديثاً، عدم الإنقطاع عن ذكر الخطبة في الأدوار التاريخية المختلفة، عدم ذكر ملابساتٍ ذات أهمية حول اعتبار الخطبة و صحة سندها.

و قد تمّ و بشكلٍ قاطع ردّ الشبهتين التاليتين: وضع الخطبة من قبل أحد الخطباء البليغين و الذي يدعى أبو العيناء؛ و عدم إمكانية نقل الخطبة من قبل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. و من الأدلة على صحة السند أيضاً تناسُبُ سياق الخطبة مع الأقوال المذكورة عن الأئمة المعصومين و الأقوال الأخرى للزهراء سلام الله عليها. كما أن ذكرها في بعض المصادر ككتاب «الشافي» للسيّد المرتضى قد زاد من قيمة سندها أيضاً.

١. الاستاذ المساعد في قسم التاريخ و الثقافة بجامعة الإمام الصادق عليه السلام، alviri@isu.ac.ir

و يمكن الإلمام بالمكانة الرفيعة لهذه الخطبة عند الشيعة عن طريق الأمور التالية: تحليل و دراسة الأبعاد الشموليّة للخطبة و التي تتخطّى واقع النص، تعلّق قسمٍ ملحوظٍ من الآثار المتبقيّة عن الزهراء سلام الله عليها بهذه الخطبة، التعمّق و التوسع في نطاق دائرة الرؤية لهذه الخطبة على مرّ التاريخ، و استحضار الخطبة إلى ميادين الأدب والشعر. و في نهاية المقالة قد تمّ التأكيد و الدعوة إلى تفهّم الأوضاع الحالية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام و نبذِ كلّ استنباطٍ من هذه الخطبة يُهدَف منه تجليل النعرات الطائفية و تسويق روح التحجّر و التزمّت و الميل إلى ما تدليه الأعراف البالية و ما تدعو إليه أفكار السواد من الناس. عند إعادة فهم و تحليل الخطبة تمّ التنويه إلى ضرورة إعمال الرؤية التوسعيّة و التي تعد من ضروريات الإستلهام من القابلية العليا لتعاليم الشيعة، في سبيل حلّ المشاكل الفكرية و العملية في عالمنا الحالي.

الكلمات الرئيسيّة: فدک، الخطبة الفدكية، خطبة اللمّة، زهرا سلام الله عليها، تاريخ الشيعة، دلالات النص.

عنوان الخطبة

تعدّ الخطبة الفدكية من أهمّ نصوص الشيعة وقد شهدت شهرةً واسعةً، ذلك لما تميّزت به تلك الحقبة الزمنية التي تمّ إيراد الخطبة فيها و لما حوته من مواضيع، و أيضاً لما تتمتّع به الشخصية التي نطقت بها من مقامٍ رفيعٍ.

وقد دُعيت بخطبة «اللمّة» أيضاً [1]، حيث إستلهم هذا الإسم من مقدمة الخطبة و التي تحدثت عن المسير الذي سلكته الزهراء سلام الله عليها نحو المسجد بعد سماعها بقرار الخليفة الأولِ انتزاعَ فدكٍ و قد ورد فيها: « و أقبلت في لمةٍ من حفدتها» أو «جاءت في لمةٍ من نسائها»[2] نحو المسجد، فكلمة اللمّة بضم اللام و تشديد الميم (ابن منظور، ١٤٠٨ق.، ج١٢، ص٣٣١؛ ذكر الطريحي مصحح مجمع البحرين اللامّ بالفتح) تعني الأصحاب، الجماعة و المثل في السنّ و التِّرب وقيل هي ما بين الثلاثة إلى العشرة [3] (طريحي، ١٤٠٨ق.، ج٤، ص١٤٣؛ ابن منطور، ١٤٠٨ق.، ج٢، ص٣٣١؛ انصاري، ١٢٩٧ق. اللمعة البيضاء ص١٥٥). و من الواضح أن إطلاق اسم «الفدكيّة» على هذه الخطبة نابعٌ من كون قضية فدك قد شكّلت المحور الأساسي و الموضوع الرئيسي للخطبة و التي جاءت كنتيجةٍ و ردٍّ فعلٍ من قبل الزهراء سلام الله عليها لحكم الخليفة القاضي بحرمانها من مزرعة فدك، وللدفاع عن حقها في هذه القضية، ولكنها كانت دوماً تشير إلى أبعادٍ أوسع ومفاهيم أكبر من استرجاع فدك.

فدك في السنوات الأولى بعد الفتح

تعد فدك أرضاً خصبةً ومترامية الأطراف إلى حدٍّ ما، تقع على بعد ١٣٠ كيلومتر شمال مدينة الرسول، و بينها و بين المدينة يومان أو ثلاثة (ياقوت، ج٤، ص٢٣٩)، صالح ساكنوها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بعد فتح خيبر و لأنها كانت مما لم يوجف عليه بخيل أو ركاب فقد اختصت بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم وصارت ملكاً خاصاً به[4] (الحشر / ٦ و ٧) . لكن البلاذري على عكس

كثير من المؤرخين ذكر أن نصف هذه الأرض قد اختصّ بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم وأن أهلها قد صالحوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم على نصف أشجار نخيلها و أراضيها (ياقوت، ج٤، ص٢٣٩) . كما أنّ هناك رواية أخرى تؤيد ما ذكره البلاذري. لما طلب عمر من ساكني فدك تركها كان قد حاسب نصف قيمة الأرض ودفع لهم خمسين ألف دينار (صفري فروشاني، بنقل عن الجوهري). فلو قبلنا هذين الخبرين لايوجد عندنا أي معلوماتٍ واضحة حول النصف الآخر من الأراضي. هناك أخبار أخرى تتحدّث عن كيفية حصول النبي صلى الله عليه و آله و سلم على مالكية هذه الأرض[٥].

بالإضافة إلى ذكر أخبار فدك في المصادر التاريخية والجغرافيّة تمّ ذكرها في مصادر الحديث و الفقه خاصة في منابع الشيعة و ذلك أثناء بيان الفارق و الإختلاف فيما بين الأنفال والفيء (الكليني، ١٣٦٤ش.، ج١، ص٥٣٨ وص٥٤٣) أو أثناء الحديث عن فلسفة الأحكام (الصدوق، ١٤١١ق.، ج٣، ص٣٦٥ . ٣٦٦) في تلك المصادر. أيضاً ذكرت أخبار فدك في المصادر الكلامية وذلك في قضايا خلافة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ومسألة السقيفة. أدّت مسألة فدك والإختلاف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حول قضيّتها إلى تأثير الميول المذهبية على نقل الأخبار والروايات المتعلّقة بها وصار من الصعب على الجميع وحتى على علماء الجغرافيا معرفة الخبر الصحيح عن غيره[٦](ياقوت، ١٤٠٨ق.، ج٤، ص٢٣٩).

إن الطريقة الخاصة التي تمّ من خلالها فتح فدك قد منعت من تصنيف هذه الأرض في زمرة الغنائم التي كانت تقسم بين المسلمين. وبعد نزول آية «وآت ذي القربى حقه» (الاسراء/ ٢٦) نحلها [٧] (راجع مثلاً: بحراني، ١٤١٥ق.، ج٣، ص٥٢٠) الرسول صلى الله عليه و آله و سلم للزهراء سلام الله عليها والتي وكّلت عليها وكيلاً أو عدةً وكلاء لمراقبتها، وظاهر الأمر أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان يعمل أحياناً في بساتين فدك أثناء تصدي السيدة الزهراء سلام الله عليها لمالكية تلك المنطقة (المجلسي، ١٤٠٣ق.، ج٤٠، ص٣٢٨). ولعل موقوفاته عليه السلام (رعية واسحن وقصيبة) (الريشهرى، ١٤٢١ق.، ج٩ ص٣٨٣) قد تمّ أعمارها ووقفها ضمن تلك الحقبة من الزمن. بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قام الخليفة الأول بحظر السيدة الزهراء سلام الله عليها عن التصرف بملكها عن طريق إخراج الوكيل الذي عينته من هذه الأرض (الطبرسي، ١٣٨٦ق.، ج١، ص٩٠).

وقد أدى ذلك إلى اعتراضها على هذا الحكم ثم سعت حينها لإثبات حق المالكية على أرضها على أنّها نحلة أو إرثٌ من أبيها صلى الله عليه و آله و سلم، ولما لم تلقَ أي نتيجةٍ قامت بإيراد خطبتها والتي هي موضوع هذا المقال. كما أن هناك مواضيعُ أخرى تتعلق بقضية فدك لم تذكر في هذه المقالة لذكر معلومات قيّمةٍ حولها في المصادر المختلفة. كالمواضيع التالية: الحجج التي احتجّت بها الزهراء سلام الله عليها لإثبات حقّها، المنهج الذي نهجته في احتجاجها مع الخليفة، ما ذكره الخليفة لتبرير موقفه، الموقف الذي اتخذه الإمام عليه السلام، و حوادث أخرى تتعلّق بقضية فدك في أدوارها الأولى وما آلت إليه في الأدوار التالية.

الازدهار الاقتصادي والزراعي لمنطقة فدك

اعتُبرت فدك في مرحلة ما قبل وما بعد الفتح الإسلامي منطقة مزدهرةً ومعروفة. هناك مناطق متعددة كالبديع (البكري، ١٤٠٣ق.، ص٢٣٢) والرعية والزرنوق واسحن وقصيبة (و تعدّ الرعية واسحن والقصيبة من موقوفات الإمام علي عليه السلام) (الريشهرى، ١٤٢١ق.، ج٩،

ص٣٨٣) كانت تعدّ نواحي من فدك. ومناطق كالذراة (البكري، ١٤٠٣ق.، ص ٦١٠) والرقمتان (نفس المصدر ص٦٦٧) و جبل الحبالة (المصدر نفسه ص٤١٩) والمغثية (المصدر نفسه ص١٢٤٩) غوراً وحدوداً لفدك. وأما الشمروخ (المصدر نفسه ص٨٠٨) [٨] فقلعة فدك [٩]. وعُدّت المناطق: جبل أحد وعريش مصر وسيف البحر ودومة الجندل في إحدى الروايات مناطق حدودية لفدك (الكليني، ١٣٦٤ش.، ج١، ص٥٣٨ وص٥٤٣. الحرّ العاملي، ١٤١١ق.، ج٩، ص٥٢٥) [١٠].

أشار ياقوت إلى وجود عين ماءٍ نضاخة و وفرة نخيل في تلك المنطقة (ياقوت، ١٤٠٨ق.، ج٤ ص٢٣٨) ومن محاصيلها الزراعية القمح والتمور. وقد قدّر البعض نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السابع الهجري (ابن أبي الحديد، ١٣٨٧ق.، ج١٦، ص٢٣٦)، أيضاً قُدِّر دخلها بين الأربعة والعشرين والسبعين ألف دينار سنوياً (المجلسي، ١٤٠٣ق.، ج٢٩، ص١٢٣). اعتبرت صناعة النسيج و... من الصناعات اليدوية لهذه المنطقة (E١٢, V٢m ٧٢ ٥a)، وإن شهرة بعض أنواع الأقمشة والألبسة فيها والتي أُشير إليها في بعض الروايات كالكساء الفدكي (المجلسي، ١٤٠٣ق.، ج٣٥، ص٢٠٨ و٢٢٠ و٢٢٨) والقطيفة الفدكية (نفس المصدر، ج١٦، ص٢٥٣) يدل على انتشار صناعة الأقمشة فيها.

لاتعدّ كلمة «فدك» مصدراً له مشتقات اسمية و فعلية، لكن ابن دريد عدّها مصدراً لباب تفعيل (تفديك) وتعني النقش على الأقمشة القطنية (ابن دريد، ١٩٨٧م. مدخل فدك) . ولعلّ ذلك يعدّ دلالةً لازدهار مهارة حياكة النسيج والرسم وإيجاد النقوش عليه أو حتى حلاجة القطن في منطقة فدك. نُسب بعض الأشخاص في الإسلام إلى فدك في النصوص والمصادر (المجلسي، ١٤٠٣وللاطلاع على أمثلة أكثر راجع: برازش، ١٤١٥ق.، ج١٦، ص١٥٥٣٨) ولعلّ أكثرهم شهرةً أبو عبدالله محمد بن صدقة الفدكي الذي كان يروي أحاديثاً عن مالك بن أنس (ياقوت، ١٤٠٨ق.، ج٤، ص٢٤٠) .

من المهم الإشارة إلى أنه لاتوجد قرية أو منطقة تدعى فدك في أرض الحجاز اليوم، إلاّ أن حافظ وهبة في كتابه «جزيرة العرب» الذي طبع في القاهرة عام ١٩٥٦ م قد اعتبرها منطقة حوييط يا حويط الحالية في السعودية (E١٢, V٢m ٧٢ ٥a). اعتبر كاتب آخر أن اسمها الحالي هو «الحائط» وتقع على الحدود الشرقية لمنطقة خيبر والتي كانت في عام ١٩٧٥ م تشمل إحدى وعشرين قرية مع أحد عشر ألف ساكن فيها (استادي، ١٣٨٠ش.، ص٣٩٥؛ بنقل عن البلاذري، معجم معالم الحجاز، ج٧ ص٢٧).

حجيّة سند خطبة فدك

ذكرت الخطبة الفدكية أو فصول منها في نصوص مختلفة، ومع وجود اختلافات بسيطة في هذه النصوص [١١] إلاّ أنّه لايوجد أي شك في أصالة وحجية سندها، أولى المنابع المدوّنة التي قامت بنقل هذه الخطبة تتعلّق بالنصف الثاني للقرن الثاني للهجرة، و تعد هذه الفترة نقطة بداية تدوين الحديث، وإن تواجد كتاب مستقل بعنوان «خطبة الزهراء» الذي جمعه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (آقا بزرگ تهراني، لا تا، ج٧، ص٢٠٣) في هذه الفترة الزمنية لدليل على أهمية ومكانة هذه الخطبة. كما أن بعض المصادر قامت بذكر نصّ الخطبة بشكل تام ككتاب «بلاغات النساء» لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن أبي طيفور [١٢] (٢٨٠ ق) وكتاب «السقيفة وفدك» لأحمد بن عبدالعزيز الجوهري (٣٢٣ ق) [١٣] ويعدّ هذان المؤلّفان من علماء أهل السنة.

إن التعمق في دراسة البحوث الروائية والرجالية تشير إلى أن اثني وتسعين راوياً قاموا بنقل نص الخطبة بخمسة وعشرين طريقاً مختلفاً، وتمّ ترتيب سلسلة رواة هذه الحقبة ابتداءً من الفترة الزمنية مابين منتصف القرن الأول حتى متنصف القرن الرابع الهجريين في إحدى عشرة طبقة. يُلاحَظ في الطبقة الأولى من هؤلاء الرواة ذكر أسماءٍ بارزةٍ كأبي عبدالله عليه السلام سيد الشهداء وزينب الكبرى وأم المؤمنين عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و عبدالله بن عباس (آذربادگان، ص٦٥ . ٦٩)، كما تمّ نقلها من قبل الأئمة الميامين: الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام (نفس المصدر). هذا من جهة، و نلاحظ من جهة أخرى عدم قطع تناقل هذه الخطبة في مصادر الحديث والمصادر التاريخية في أيٍّ من أدوار التاريخ الإسلامي، بل نلاحظ تناقل هذه الخطبة بشكل مستمرّ واتصال سلسلة الرواة في المصادر الباقية من القرن الثالث فما بعد.

وبحسب الضوابط والمعايير المتعارف عليها في علم الحديث فإن نقل نص الخطبة بشكل تام في بدايات مراحل البدء بتدوين الحديث، وتناقلها من قبل علماء أهل السنة واستمرار تواتر نقلها في الأدوار التاريخية المختلفة تعتبر أهم وأكثر الأدلة تقبّلاً واعتباراً لحجيّة سندها. بالخصوص أن البحوث والدراسات القديمة والمعاصرة لاتقدم أي ملابسات أو حيثيات ذات أهمية تعارض بها حجيّة سند الخطبة، إلاّ شبهتان يمكن استنباطهما بعد التدقيق في النصوص والمصادر التاريخية، وقد رُدَّتا ردّاً مناسباً ومقنعاً، وهما:

. شبهة وضع الخطبة من قبل أحد الخطباء البليغين يدعى «أبو العيناء».

. شبهة عدم إمكانية نقل الخطبة من قبل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

أما الشبهة الأولى فهي ملابسة قديمة ذكرها ابن أبي طيفور في كتابه «المنظوم والمنثور» [١٤]، ذكر أنه حين تحدث مع أحد رواة الخطبة قال: هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء [١٥] (الخبر منسوق البلاغة على الكلام) لم يذكر هذا الراوي من ادعى هذا الكلام و لاشك بأن مراده مجموعة من مخالفي الشيعة والمعتقدين بصحة انتخاب الخليفة الأول وبالسير الطبيعي لحوادث صدر الإسلام. وأجاب راوي الخطبة: « رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه من آباءهم ويعلمونه أبناءهم، و رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدّ أبي العيناء» (ابن أبي طيفور، ١٤٢٢ق.، ص٢٩ . ٣٠)

لم يترك ابن أبي طيفور نقداً على هذا الكلام و بذلك أعلن تقبله لهذا الجواب. ولاريب بأن ذكر كلمة «يزعمون» أثناء نقله الشبهة يدل على ضعف دعامتها وعدم قبول ابن أبي طيفور لها. اعتبر راوي الخطبة و المتحدث مع ابن أبي طيفور أن التشكيك في صحة نسبة الخطبة للسيدة الزهراء سلام الله عليها من قبلهم ناتج عن عداوتهم لأهل البيت عليهم السلام، ويتساءل عن كيفية التشكيك بها وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة (الشريف المرتضى، ١٤١٠ق.، ج٤، ص٧٧. ابن أبي طيفور، ١٤٢٢ق.، ص٢٣). وبذا فإن أول من ذكر ملابسةً حول حجيّة انتساب الخطبة قد انتقدها بنفسه و رفضها بل و ذكر لها ردّاً قويّاً. إن طرح الشبهة هذه منذ الأساس قد نبع من بلاغة نص الخطبة الدال على أن قائلها خطيب قادرٌ و بليغ و أنه من المستبعد أن تكون تلك القدرة نابعة من امرأة في طليعة عمرها وذلك في أوائل فترة الإسلام. لكن كما قال راوي الخطبة لابن أبي طيفور أن انبثاق هكذا بلاغة من الزهراء سلام الله عليها لاتدعو إلى العجب فمع وجود أمثلة عن بلاغات أهل بيت النبي صلي الله عليه و آله

و سلم [١٦] فإن بلاغة كلامها و براعة بيانها سلام الله عليها ليعتبر أمراً طبيعيّاً (شهيدي، ١٣٦٢ش.، ص١٢٤ . ١٢٦).

وأما الشبهة الأخرى والتي تعود إلى ما نقله ابن أبي الطيفور أيضاً هي أنه قد نقل هذه الخطبة من زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام مع أن زيد قد استشهد سنة ١٢٢ ق، و ولادة ابن أبي طيفور كانت سنة ٢٠٤ هـ و لذا لايمكن و بأي عنوان تقبّل التقاء هذين الشخصين وقول واستماع الحديث فيما بينهما. إن نشوء هذه الملابسة ناتج عن الخلط بين زيد الشهيد وبين زيد بن علي بن الحسين بن زيد العلوي (الشوشتري ج٤، ١٤١٠ق.، ص٢٥٩) [١٧] بهذا تردّ هذه الملابسة. هذا بالإضافة إلى أن الخطبة لم تنقل عن طريق زيد العلوي فقط وإنما قد تمّ نقلها بأربع وعشرين طريقةٍ أخرى، فلو فرضنا عدم الإعتماد على هذا الطريق كان بالإمكان مراجعة الإستنادات الأخرى لهذه الخطبة. نؤكد مرةً أخرى بعد ردّ الشبهتين السابقتين على عدم وجود أي ملابسة ذات أهمية أخرى تخدش صحة انتساب الخطبة، بل على العكس تؤيّد الأدلة التالية و تؤكّد صحة السند و قوة انتسابه:

. دراسة محتوى وسياق الخطبة الداخلي (النقد الداخلي) و ملاحظة تناسقه مع أقوال الأئمة المعصومين و سائر أقوال الزهراء سلام الله عليها.

. نقل الخطبة بكثرة في المصادر المتقدمة و المتأخرة لأهل السنة. ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة الكبير صرّح لما نقل نص الخطبة بأنه اشترط على نفسه نقل كل أخبار فدك «من جملتها خطبة الزهراء سلام الله عليها» من الأخبار و السير المنقولة عن أفواه أهل الحديث و كتبهم لا كتب الشيعة و رجالهم (ابن أبي الحديد، ١٣٨٧ق.، ج١٦، ص٢١٠) [١٨] و ذلك في قوله (لأنا مشترطون على أنفسنا)، و الأربلي أيضاً لما نقل الخطبة في كتابه كشف الغمة قال: وقد أوردها المؤالف و المخالف (الأربلي، ١٤٠١ق.، ج٢، ص١٠٦).

. ذكر الخطبة في كتاب «الشافي في الإمامة» للسيد المرتضى علم الهدى (٤٣٦ هـ) مع العلم بأنه لاينقل أخبار الآحاد لاعتقاده بعدم حجيتها [١٩]، لذا فإن نقلها من جانبه (الشريف المرتضى، ١٤١٠ق.، ج٤ ص٧٠ . ٨٥) يعني أنه لايعتبرها من أخبار الآحاد (حسيني زنجاني، ١٣٦٣ش.، ص٢١).

. انحصار الشبهات بتلك التي ذكرت في كتاب (بلاغات النساء) ونقدها من قبل المؤلف وعدم متابعتها من قبل بقية الرواة. أيضاً عدم ذكر أي ملابسة أخرى حول قضيتها.

مكانة الخطبة الفدكية عند مفكّري الشيعة

ظهرت المكانة الرفيعة للخطبة الفدكية عند ثقافة الشيعة من خلال السعي والجهد الدائب الذي بذله علماء الشيعة لأجل فهم وتبيين و نشر هذه الخطبة، و هناك أمثلة و مصاديق كثيرة تصوّر جهد هؤلاء العلماء على مرّ التاريخ، من جملتها مايلي:

١. تعلّق نسبةً ملحوظةً من الآثار المتعلقة بالزهراء سلام الله عليها بهذه الخطبة

كانت هذه الخطبة تذكر أحياناً بصورة مستقلة كموضوع لكتاب و كانت أحياناً أخرى تذكر من ضمن المواضيع المطروحة في كتاب أو أُطروحة. من المعالم الأخرى لمكانة هذه الخطبة عند الشيعة و اهتمام علمائهم بها، ذكرها في الكتب التي دوّنت حول الزهراء سلام الله عليها، من المحتمل أن يشار إليها في جميع الكتب التي تمّ تأليفها حول شخصية الزهراء سلام الله عليها إلا أن البعض خصّها بدراسة و فصلٍ تام، و هذه المجموعة ستكون محور حديثنا. و

لدراسة الموضوع، تمّ إجراء بحث في أحد الموسوعات المتعلّقة بالزهراء سلام الله عليها، فمن بين ١١٥٩ مصدرٍ ذُكروا في كتاب «فاطمة در آئينه كتاب» (انصاري زنجاني، ١٣٧٥ش.)[٢٠] تعلّق ١١٤٧ كتاباً بشخصية الزهراءسلام الله عليها (عدا اثنى عشر كتاباً كتبوا حول مدينة فاطيما البرتغالية) بينهم ١٢٦ كتاباً انفردوا بتدوين قضية فدك، أو احتووا مواضيع مهمة حولها. بعبارة أخرى إن مايعادل ١١ بالمئة من ا لكتب التي ألّفت حول الزهراء ضمن نقلها لكامل نص الخطبة أو لمقتطفات منها، قامت بفهم و تحليل و كسب معلومات قيمة من هذه الخطبة.

دراسة مؤشر توزيع هذه المصادر في القرون الهجرية المختلفة تشير إلى انخفاض نسبي في دائرة الإهتمام بهذه الخطبة في الكتب المتعلقة بالزهراء سلام الله عليها بعد القرني الرابع والخامس الهجريين. ويشير أيضاً إلى ارتفاع في الإهتمام بها في القرن الحادي عشر فما تلاه. بنحو أنه في القرن الرابع عشر للهجرة تمّ بحث الخطبة في ٤٥ كتاباً، وفي العقود الأولى من القرن الخامس عشر إلى يومنا هذا اختصَّ خمسة وخمسون كتاباً – على الأقل – بمباحث حول هذه الخطبة إما بشكل مستقل أو بعرض فصول عنها [٢١]. هذا الاهتمام هو نتيجة أسباب مختلفة لايسع المجال لعرضها في هذا المقال، وهذا البيان الاحصائي يشير إلى ارتفاعٍ ملحوظٍ و متزايدٍ في نسبة الإهتمام بالخطبة و رفعة مكانتها عند الشيعة.

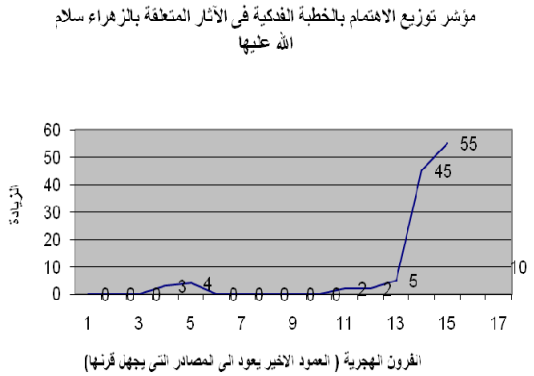

٢. دراسة الأبعاد الشمولية والمفهوم الواسع للخطبة الفدكية

بلا ترديد، لم تطمح الزهراء من خلال مطالبتها بحقها بفدك في هذه الخطبة باستحواذ أرض زراعية، ولم تتطلّع لكسب غلاّتٍ و موارد. بل هي صرخٌ يرمز إلى الحق المسلوب والسعي وراء استراجعها يحكي ضرورة النضال لاسترجاع اتجاه الدولة الإسلامية، ذلك الاتجاه الذي رسمه و عيّن خطاه خاتم الأنبياء الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم. إن الزهراء كانت تسمو إلى طموحٍ أرقى وترنو إلى هدفٍ أعلى من أرض فدك. و قد سار باقي الأئمة عليهم السلام على هذه الخطى[٢٢]. لقد شكّلت هذه الوجهة و هذه الرؤية على مرّ التاريخ لبّ اهتمام العلماء بهذه الخطبة، وكانوا كلما أرادوا شرحها وتبيينها لم يحدّوا رؤى كلامهم بفدك (التي اشتق عنوان الخطبة منها) بل كانوا يربطونها بمجموعة أحداث خلافة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ويعتبرونها أحد صروح إثبات أحقيّة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في أثناء اعتراضهم على المسير الذي سلكته الخلافة بعد النبي صلي الله عليه و آله و سلم. و لذا فإن هذه الخطبة وقبل أن تعرض في النصوص الأدبية أو الروائية الفقهية كانت قد ذكرت في المصادر التاريخية المتعلقة بالحياة السياسية للزهراء

سلام الله عليها و بعدم وصول أمير المؤمنين عليه السلام لمنصب الخلافة. و على هذا فإن الرؤية لهذه الخطبة كانت دائماً أكبر و أوسع نطاقاً مما بُيِّن في نصّها. و كانت هذه الرؤية هي المنظورة أيضاً عند مؤرخي أهل السنة، أي رؤية ربط أحداث فدك بخلافة الرسول صلي الله عليه و آله و سلم، و ربما كان هذا السبب لذكر الجوهري أحد أقدم رواة الخطبة الفدكية خطبة فدك إلى جانب أخبار السقيفة و أخبار فدك وذلك في نفس الكتاب.

٣. التعمق والتوسع في نطاق دائرة الرؤية للخطبة

أحد أوجه الإهتمام الأخرى بهذه الخطبة عند علماء الشيعة الدراسات والتحاليل التي منيت بها من قبلهم خصوصاً في العقود الأخيرة من هذا القرن، و كان اللون التاريخي غالباً على أكثر هذه الدراسات، لكن لم تهمل باقي الأوجه الأخرى التي يمكن استلهامها من النص، فأحياناً كان ينظر إلى النص من وجهة كلامية حيث تستلهم التعاليم المعرفية، و أحياناً أخرى نظر العلماء إلى النص من منظور فقهي و وجه يرتبط بفلسفة الأحكام، تمت دراسته أيضاً من منظور أدبي. وفي هذا الوسط، نلتمس زيادةً في الكتب والآثار التي سعت و بمنظور مترامي الأطراف دراسة كل هذه الأوجه. تمّ شرح مواضيع الخطبة في سبعة محاور في بعض الكتب: التوحيد وذكر صفات الله سبحانه وأسماء الحسنى والهدف من الخلقة، المكانة الرفيعة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم والمسؤوليات الواقعة على عاتقه وخصائله وأهدافه التي كان يتطلّع إليها، أهمية القرآن الكريم وعمق تعاليم الإسلام، مواعظ ونصائح تتعلّق بالفلسفة و الأسرار و الأحكام، مقارنةٌ بين وضع المسلمين العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و بعدها، الحوادث و الظواهر التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه و آله و سلم، قضية فدك و ردّ مستسمكات الخليفة، و ختم الخطبة باستمدادٍ من الأنصار والأصحاب المخلصين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و بتهديد بعذاب من الله سبحانه (مكارم شيرازي، ١٣٨٣ش.).

وصنّف أحد الكتّاب مواضيع الخطبة في تسعة عشر محوراً أهمّها:

التوحيد، الحمد والثناء لله سبحانه، النبوة، عصر الجاهلية، مكاسب و انجازات النبي صلى الله عليه و آله و سلم، القرآن، فلسفة الأحكام، أساس موضوع الخطبة، حوادث فترة الرسالة، موقف الإمام علي عليه السلام و معاتبة الأنصار(شاكري، ١٤١٥ق.، فاطمة الزهراء ص٢٨٢ . ٢٨٣) [٢٣].

إن إلقاء نظرة على هذه الدراسات التي أجريت حول الخطبة تشير إلى توسعٍ في دائرة الإهتمام وبعمقٍ في التحليل لأوجه الخطبة المختلفة كلما مضى الزمن عليها. كما تشير إلى تغيّر وجهة الرؤية إلى الخطبة و عدم الإكتفاء بدراسة جانب واحدٍ بل الإحاطة بجميع الجوانب.

٤. نظم خطبة فدك شعريّاً

إن نظم نص خطبة فدك على صورة شعر يشير إلى جانب آخر من جوانب مكانة هذه الخطبة عند الشيعة، وتعاطفهم لما جرى فيها من حوادث.

قام الشيخ كاظم ارزي الذي يعد من ألمع شعراء الشيعة في قصيدته الهائية عن فدك بتنظيم أقسامٍ من هذه الخطبة على صورة شعر (المدرسي يزدي، ١٣٧٩ش.، ص٣٧ . ٤٠). كما أن أحد أشراف مكة أيضاً نظم قصيدةً هائيةً أخرى حول فدك، وبالطبع فإن هذه القصيدة لم تنحصر بنظم خطبة فدك فقط، بل شملت كافة جوانبها وكل ما جرى فيها من حوادث (نفس المصدر ص٢٩ . ٣٦) ، الشيخ عبدالمنعم فرطوسي أيضاً من الشعراء الذين كانت لهم قصيدة في هذا

الجانب (المصدر نفسه، ص٢٩) ، وفي السنوات القلائل الأخيرة قام السيد عباس مدرسي يزدي بنظم قصيدة هائية على غرار قصيدة الأزري و مستقبلاً لها تشمل نصّ الخطبة ثم قام بايراد قصيدة أخرى نظم بها خطبة الزهراء الثانية التي ألقتها على مسامع نساء المهاجرين و الأنصار لما التقت بهم (المدرسي يزدي، ١٣٧٩ش.، كلمة الزهراء سلام الله عليها: خطبة الزهراء في قصيدة شعرية). و قد كتب مقدمة رائعة حول حوادث فدك.

خاتمة

احتلّت الخطبة الفدكية مكانة قوية عند الشيعة و ذلك لأنها تعدّ صرحاً يرمز إلى حقانية مدرسة أهل البيت عليهم السلام و لايوجد أي شك أو ترديد حول صحة صدورها من الزهراء سلام الله عليها.

تعكس دراسة هذه الخطبة مدى ما يلتمسه المحللون وما يتطلّعون إليه من تفهّم حوادث تتعلق بتلك الحقبة و مع ملاحظة التطورات الجارفة في عالمنا المعاصر فإن استجداد ما تمّ استنباطه من هذه الخطبة يعدّ أمراً ضرورياً.

فإذا كان المراد من الخطبة يوماً ما إثبات أحقية أهل البيت عليهم السلام مقابل مخالفيهم فاليوم و قد تمّ رفض النزاعات الطائفية من قبل علماء عظام كالإمام الخميني رحمة الله عليه يجب أن يكون هدفنا أثناء دراسة الخطبة هو إبراز تعاليم بإمكانها إشباع احتياجاتٍ فكريةٍ لجيل اليوم، سواء أكانوا شيعة أو سنّة بل أشمل من ذلك سواء أكانوا مسلمين أو غيرهم، و لو أن الشرح الأدبي للخطبة و إبراز ما تحويه من دقائق لغوية و طرائف بيانية كان المعتمد الوحيد من دراسة الخطبة يوماً ما، و لو كان النطاق الضيّق الأفق المحدود لفهم الخطبة هو المنظور المتأمّل من دراستها من قبل، فاليوم، و على طريق استكمال مسيرة الرؤية الشاملة و اللامحدودة لهذه الخطبة تعدّ المواضيع التي لاتعود بأي منفعةٍ علميةٍ أو معنويةٍ أو أخلاقية لاعتمادها على الفكر الضيق والمحدود، تعدّ خطوةً لامبرّرة و غير صالحةٍ للمناقشة. من المناسب اليوم إعادة قراءة و دراسة الخطبة من قبل علماء دينٍ خبيرين يملكون شغف إثبات قدرة الدين الخالص على مواكبة مستجدات عالم اليوم. مواضيع أخرى تستلتزم إعادة دراسةٍ و تحليل و من ثم طرحٍ بلغة عصريّة تتناسب و مستجدّات العصر، منها: دراسة المحتوى العميق والمعرفة المطروحة في الخطبة و ما تحويه من دقةٍ في الرؤية الكلامية، ما طرح فيها من أسس تخدم الفكر السياسي والإجتماعي، الأبعاد الشمولية الأخرى المستنبطة منها كمكانة المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي، المواضيع الأسسية للحقوق المستلهمة، البراعة في كيفية فهم القرآن و الإستناد به، أساليب الإلقاء و إيصال المفاهيم و ما يتعلق بطرق الإتصال، مكانة الخطبة في المرحلة المصيرية لصدر الإسلام و الإستمرار التاريخي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام و مواضيع أخرى.

إن سيطرة الفكر العامّي والميل إلى ما تدليه الأعراف البالية وما تتطلّع إليه الأوهام والخرافات أثناء محاولة التعريف بالإسلام و بعقائد و أعلام الشيعة شهدت نموّاً مثيراً للقلق في السنوات الأخيرة، و لكن كل فهم أو استنباطٍ يشدّد من مستوى النعرات الطائفية و ينمّي معدل الرؤية السطحية و روح التحجر و التزمّت هو استنباطٌ مخالفٌ لمقتضيات المكانة الرفيعة و المنيعة لتعاليم مدرسة أهل البيت عليهم السلام (الويري، ١٣٨٣ش.، «حقيقت باشكوه» و «واقعيت ديروز، حقيقت امروز»). إن الخطبة الفدكية تعدّ ميثاقاً تاماً و مثاليّاً للرؤية التوسعية و عدم التوقف عند الأحداث المقطعية و استعاضة التهديدات المقطعية بفرصٍ صامدة.

الهوامش

١– راجع مثلاً: شرح خطبة اللمة . محمد نجف كرماني مشهدي (١٢٩٠ ق) (آقا بزرگ تهراني، ج١٣، ص٢٢٤) أيضاً شرح خطبة اللمّة . السيد علي محمد بن محمد بن دلدار علي نقوي لكنهوئى (١٣١٢ ق) (آقا بزرگ طهراني، ج١٣، ص٢٢٤).

٢– في نقل «كشف الغمة» ذكرت كلمة لميمة مكان لمة. (أربلي ج٢، ص١٠٦).

٣– قام أحد الشعراء الذين نظموا الخطبة في قصيدة هائية بذكر كلمة اللمة في هذا البيت (مدرسي يزدي، ص٤٦):

فتمشّت في لمةٍ من حفيد من بنيها و لمة من نساها

٤– بالإستناد إلى هاتين الآيتين، أجريت بحوث كثيرة نوعاً ما ذيل هذه الآية الشريفة وفي المصادر التي تختص بحياة الزهراء سلام الله عليها.

٥– مثل الهدية أو مصالحة مخيريق أو خمس غنائم خيبر.أشار L.Veccia Vaglieri إلى الإبهامات الموجودة في المصالحة وفي نص معاهدة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم معهم. راجع مقالة FADAK في Encyclopedia of Islam.

٦– وبعد أن أشار صاحب المعجم إلى هذه القضية، رجّح ما نقله البلاذري على بقية الأقوال، ثم قام بنقله في كتابه. وجاء النص الكامل لما ذكره البلاذري حول كيفية فتح فدك في الصفحة ٤٢ الى ٤٧ من كتابه «فتوح البلدان». اعتبر L.Veccia Vaglieri كاتب مقالة فدك في دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الجديد) أنّ الخلاف بين الزهراء والخليفة الثاني هو اختلاف حقوقيّ وبأنه يشير إلى الدقّة السائدة في صدر الإسلام على الأموال الشخصية والعامّة.

٧– وقد ذكر ذيل هذه الآية تسع روايات حول هذه القضية عن الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا عليهم السلام. وذكرت الفاظٌ متعدّدة حول إهداء النبي صلى الله عليه و آله و سلم هذه المنطقة للزهراء مثل: الهبة، الإعطاء، التمليك، النحلة، الدفع، الصدقة والإقطاع (استادي ص٣٦٣ . ٣٦٤).

٨– وقد ذكر البكري في ص١٠١٥ . ١٠١٦ باباً كاملاً خصّه بفدك.

٩– ذُكر في تاريخ اليعقوبي عن فدك أنّ صنم (مناة) أقدم صنمٍ للعرب كان يحفظ فيها، والذي كان يُقدَّس ويعبدُ من قبل الأوس والخزرج (اليعقوبي، ج١، ص٢٥٥) وبما أن مكان حفظ هذا الصنم في «كتاب الأصنام» كان منطقة قديد الواقعة بين المدينة ومكة (كلبي، ص١١٠) فإن احتمال كون كلمة فدك في تاريخ اليعقوبي هي تصحيف قديد.

١٠– لاتعدّ هذه الرواية نفس الرواية التي نُقلت عن الإمام الكاظم عليه السلام والتي عبّر من خلالها لهارون أن حدود فدك في تلك الفترة تعتبر وبصورة رمزية حدودَ الدولة الإسلامية برمّتها (المجلسي، ج٤٨، ص١٤٤ ، شاكري، موسوعة ص٣٨٠)، وقد اعتبر هذه المحادثة أنها جرت بين الإمام الكاظم والمهدي العباسي، لكن الصحيح أن المحادثة الأولى جرت بين الإمام عليه السلام والمهدي العباسي، والأخرى والتي قصدت الحالة الرمزية جرت بين الإمام عليه السلام و الخليفة هارون.

١١– من المعتقد أن هذه الاختلافات لم تدوّن وتقارن و تُبحث من قبل الباحثين حتى اليوم.

١٢– للإطّلاع على شرح أحواله وآثاره راجع: دائرة المعارف بزرگ اسلامي، ج٢، ص٦٧٢ . ٦٧٦.

١٣- للإطّلاع على تقرير مختصر حول أحواله وآثاره راجع: الجوهري ص٥ . ٦.

١٤- ضاع القسم الأعظم من هذا الكتاب لكن بقي منه الفصل الحادي عشر والذي يحمل عنوان بلاغات النساء، وتمّ تنقيحه ونشره بهذا العنوان (ابن أبي طيفور . بلاغات النساء).

١٥- أبو العيناء (٢٨٢ ق) شاعر وأديب معروف عاصر زمن ابن أبي طيفور، ولد في الأهواز وكان مورد اهتمام الخلفاء العباسيين، كان محبّاً لأهل البيت وللأئمة الأطهار عليهم السلام، وللإمام الحسن العسكري عليه السلام اهتمامات به (دائرة المعارف بزرگ اسلامى، ج٦ ص٨٨ . ٩٠).

١٦- كخطبة الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام، و خطب زينب الكبرى سلام الله عليها في الكوفة والشام، وخطبة الإمام السجاد عليه السلام في الشام.

١٧- قال في مدخل زيد بن علي بن الحسين بن زيد العلوي: " والظاهر أنه الذي قال أحمد بن أبي طاهر في كتابه بلاغات النساء " ونقل عنه الشهيدي، ص١٢٤.

١٨- وقد نظّم أبحاثه حول فدك في ثلاثة أقسام: الفصل الأول فيما ورد فى الحديث و السير من أمر فدک و الفصل الثاني في هل النبى صلى الله عليه و آله يورث أم لا؟ و الفصل الثالث في أن فدک هل صح كونها نحله من رسول الله صلى الله عليه و آله لفاطمة أم لا؟ (ص٢٠٩).

١٩- للتعرف الى آرائه حول شروط قبول الخبر راجع: الشريف المرتضى ج١، ص٦٨، ٧٣.

٢٠- بما أن الكتاب يختص بالزهراء ÷ فإن أغلب المصادر التاريخية المتعلقة بفدك لم يتم ذكرها. كاتب مقالة (فدك) في (دانشنامه امام علي عليه السلام) ذكر أحد وعشرين مصدراً يتعلق بفدك. (استادي ص٣٤٧ . ٣٤٨).

٢١- نؤكّد إلى أن هذه الإحصائيات تذكر على أساس المصادر التي ذكرت في موسوعة الزهراء سلام الله عليها، ولو تمّ إجراء بحثٍ لمعرفة المصادر كلها ستكون النتائج مختلفة تماماً.

٢٢- من جملة ذلك يمكن الإشارة لمحادثة الامام الكاظم عليه السلام مع الخليفة هارون و التي عيّن فيها الامام كل الأراضي الإسلامية حدوداً لفدك.

٢٣- أيضاً لمشاهدة أمثلة أخرى لموضوعات الخطبة راجع: حسيني زنجاني، المدرسي يزدي ص١٩ . ٢٥.

المصادر

[١] قرآن كريم

[٢] آذربادگان، حسينعلي. " اسناد و منابع مكتوب خطبة فدک ". علوم حديث، شمارة ٢٦، صص ٤٧. ٦٩.

[٣] آقا بزرگ طهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة. طهران: كتابخانه مجلس شوراي ملي، بي تا.

[٤] ابن أبي الحديد، شرح نهج‌البلاغه، ج ١٦. تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧ق. / ١٩٨٧م.

[٥] ابن أبى طيفور، أحمد. بلاغات النساء. تصحيح: بركات يوسف هبود، بيروت و صيدا: المكتبه العصرية، ١٤٢٢ق.(اوفست: قم: الشريف الرضي، لا تا)

[٦] ابن‌دريد، أبوبكر، محمد بن حسن. جمهره اللغة، ٣مج. تحقيق: رمزي منير بعلبكى، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

[٧] ابن‌منظور. لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٤٠٨ق. / ١٩٨٨م.

[٨] الإربلى، علي بن عيسى. كشف الغمة في معرفة الأئمة. بيروت: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠١ق./ ١٩٨١م.

[٩] الويري، محسن. "خطبة فدكيه، نماد حقانيت شيعه". كيهان، عدد ١٧٩٩٧، ٢٨ تير ١٣٨٣، صص ٦-١٢.

[١٠] استادي، رضا. " فدک "، دانشنامة امام علي عليه السلام. زير نظر: علي‌اكبر رشاد. به اهتمام: پژوهشگاه فرهنگ و انديشة اسلامي. طهران: مركز نشر آثار پژوهشگاه فرهنگ و انديشة اسلامي (مؤسسة فرهنگي دانش و انديشه معاصر)، ١٣٨٠ش.، صص ٣٤٥ ـ ٤٠٢.

[١١] الويري، محسن. «حقيقت با شكوه» و « واقعيت ديروز، حقيقت امروز » (پيرامون حضرت زهراء سلام الله عليها)، همشهري، عدد ٣٤٤٣ ،٣٠ تير ١٣٨٣، ص ٥ و ٧ ؛ عدد ٣٤٤٤، ١ مرداد ١٣٨٣، ص ٧.

[١٢] أنصاري، حاج ميرزا محمدعلي. اللمعة اللبيضاء في شرح خطبة الزهراء. (تبريز): ١٢٩٧ق.

[١٣] أنصاري زنجاني، إسماعيل. فاطمة عليها السلام در آئينة كتاب. قم: الهادي، ١٣٧٥ش.

[١٤] بحراني، سيدهاشم. البرهان في تفسير القرآن، ج٣. قم: مؤسسه البعثة، ١٤١٥ق. / ١٣٧٣ش.

[١٥] برازش، عليرضا. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: بحار الأنوار، ج ٢١. طهران: وزارت فرهنگ و إرشاد إسلامي، ١٤١٥ق.

[١٦] البكري الأندلسي، عبدالله بن عبدالعزيز. الروض المعطار في خبر الأقطار. حققه و ضبطه: مصطفي السقاء، بيروت: عالم الكتب، ط ٢، ١٤٠٣ق. ١٩٨٢.

[١٧] البلاذري، أبوالحسن أحمد بن يحيي بن جابر. فتوح البلدان. عني بمراجعته و التعليق عليه: رضوان محمد رضوان. بيروت: دار الكتب العلميه، ١٣٩٨ق./ ١٩٧٨م.

[١٨] الجوهري، أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز. السقيفة و فدک. تحقيق: محمدهادي أميني، طهران: مكتبة نينوي الحديثه، لا تا.

[١٩] الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن. وسائل الشيعة الي تحصيل مسائل الشريعة. قم: موسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، ١٤١١ق.

[٢٠] حسيني زنجاني، سيدعزالدين. شرح خطبة حضرت زهراء عليها السلام. قم: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٦٣ش.

[٢١] دائرةالمعارف بزرگ اسلامي. بإشراف: كاظم موسوي بجنوردي، طهران: مركز دائره المعارف بزرگ اسلامي، ١٣٦٩ تا كنون.

[٢٢] الري‌شهرى، محمد. موسوعه الإمام علي بن أبي‌طالب عليه السلام في الكتاب و السنه و التاريخ، ١٢ ج. بمساعدة: محمد كاظم الطباطبائي و السيد محمود الطباطبائي‌نژاد. قم: دار الحديث، ١٤٢١ق.

[٢٣] شاكري، حسين. فاطمة الزهراء. قم: الهادي، ١٤١٥ق.

[٢٤] ـ، موسوعة المصطفى و العترة (١١): الكاظم موسي عليه السلام. قم: نشر الهادي، ط ١، ١٤١٧ق.

[٢٥] الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، الشافي في الامامه، ٤ج. تحقيق: عبدالزهراء الحسيني الخطيب، طهران: مؤسسه الصادق، ١٤١٠ق.

[٢٦] شهيدي، سيدجعفر، زندگاني فاطمة زهراء عليها السلام، طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٦٢.

[٢٧] الشوشتري، محمد تقي. قاموس الرجال. قم: جماعة المدرسين، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٠ق. / ١٣٦٨ش.

[٢٨] صدوق، ابن‌بابويه القمي، محمد بن علي بن الحسين. من لايحضره الفقيه، ج ٣. تحقيق: محمد جعفر شمس‌الدين. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤١١ق. / ١٩٩١م.

[٢٩] صفري فروشاني، نعمت‌الله، http://www.hawzah.net/per/magazine/pn/٠١١/pn٠١١٢٣.asp

[٣٠] طبرسي، أحمد بن علي. الإحتجاج . نجف: دار النعمان، ١٣٨٦ق. / ١٩٦٦م.

[٣١] الطريحي، الشيخ فخرالدين. مجمع البحرين، ٤ ج. طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ط ٢، ١٤٠٨ق. / ١٣٦٧ش.

[٣٢] كلبي، أبومنذر هشام بن محمد. كتاب الأصنام. ترجمه: سيد محمدرضا جلالي نائيني. طهران: نشر نو، ط٢، ١٣٦٤ش.

[٣٣] الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي. تصحيح: علي أكبر غفاري. طهران: دار الكتب الإسلاميه، ١٣٦٧ش.

[٣٤] مجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت: مؤسسه الوفاء، ط٣، ١٤٠٣ق.

[٣٥] المدرسي يزدي، السيد عباس. كلمة الزهراء عليها السلام: خطبة الزهراء في قصيدة شعرية. مشهد: مؤسسة امام صاحب الزمان عجل الله فرجه، ١٣٧٩ش.

[٣٦] مكارم شيرازي، ناصر. فاطمة زهراء برترين بانوي جهان. ٨٣/٩/١٥ http://www.hawzah.net/per/vigenam/zahra/far/fgb/fgb.htm.

[٣٧] حويزي، عبدعلي بن جمعه. تفسير نور الثقلين. تصحيح: هاشم رسولي محلاتي. قم: العلمية، ١٣٨٢ . ١٣٨٥ق.

[٣٨] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، بيروت: دار بيروت للطباعه و النشر، ١٤٠٨ق./ ١٩٨٨.

[٣٩] اليعقوبي، أحمد بن أبي‌يعقوب. تاريخ اليعقوبي، ٢ج. بيروت: دار صادر؛ دار بيروت، ١٣٧٩ق. / ١٩٦٠م.

[٤٠] Encyclopedia of Islam, New Edition. Leiden: E.J. Brill.١٩٨٦ - ٢٠٠٠.

خطبهٔ لُمَّه؛ سند و جایگاه آن نزد شیعیان

محسن الویری[۱]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۶/۲۴ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۷/۱۰/۱۴

خطبهٔ فدکیه یا خطبهٔ لمَّه در واکنش به تصمیم خلیفهٔ اول در بارهٔ فدک، از سوی حضرت زهراء سلام الله علیها ایراد شده است؛ اما همواره دلالتی فراتر از درخواست بازپس گیری فدک داشته است. فدک که به دلیل گونهٔ خاص فتح، به ملکیت پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم و سپس با بخشش پیامبر صلی الله علیه و آله و سلم به ملکیت حضرت زهراء سلام‌الله علیها درآمد، پیش و پس از فتح اسلامی، منطقه‌ای بالنسه پررونق و پرآوازه بود.

ادلهٔ زیر تردیدی در درستی سند خطبه باقی نگذاشته است: نقل کامل خطبه در نخستین دورهٔ شکل‌گیری کتابت حدیث، نقل فراوان آن در گذشته و حال در منابع اهل سنت، عدم گسست زمانی در نقل خطبه در دوره‌های مختلف، عدم ایراد شبهه‌ای جدی در بارهٔ سندیت و اعتبار خطبه.

به دو شبههٔ زیر نیز پاسخی متقن و محکم داده شده است: ساخته و پرداخته بودن خطبه از سوی یکی از سخن‌پردازان بلیغ به نام ابوالعیناء، و قابل قبول نبودن نقل خطبه از سوی زید بن علی بن حسین بن علی بن ابی‌طالب. همچنین تناسب سیاق خطبه با سخنان منقول از معصومان علیهم السلام و دیگر سخنان حضرت زهراء سلام الله علیها و ذکر آن در منابعی مانند الشافی سیدمرتضی هم بر اعتبار خطبه افزوده است.

جایگاه بلند این خطبه را نزد شیعیان از موضوعات زیر می‌توان درک کرد: تحلیل فرامتنی خطبه؛ اختصاص درصدی قابل توجه از آثار مربوط به حضرت زهراء سلام الله علیها به این خطبه؛ ژرفا یافتن و همه‌جانبه‌نگر شدن نگاه به خطبه در گذر تاریخ و کشاندن خطبه به وادی شعر و ادب.

در پایان مقاله با توصیه به درک شرایط کنونی مکتب اهل بیت علیهم السلام، تلاش برای فروکاستن محتوای خطبه به منازعات فرقه‌ای و رواج قشری‌گری و عوام‌زدگی و عرف‌گرایی نکوهیده شده است و کلان‌نگری که لازمهٔ استفاده از ظرفیت بالای آموزه‌های شیعی برای حل مشکلات فکری و عملی جهان کنونی است در بازفهمی خطبه توصیه شده است.

کلید واژگان: فدک، خطبهٔ فدکیه، خطبهٔ لمّه، زهراء سلام الله علیها، تاریخ شیعه، دلالتهای متن.

۱. استادیار گروه تاریخ و فرهنگ اسلامی، دانشگاه امام صادق علیه السلام، alviri@isu.ac.ir